

تجديد العالم بمحمد (3)

بالسابقين والسابقات كثرة وتقدماً

- السابقون في أمة الإسلام موجودون بكل قرن.
- لا بد من زيادة السابقين وتنوعهم وتطويرهم نحو الأحسن للتجديد.
- في قرننا مجدد لا بد من مؤازرته.
- السابقون يسبقون بدعوة الأفضل بالمأثور وبالاستشارة وبالتجربة.
- الناس كمعادن الذهب والفضة والحديد.. فاختر لدعوتك الأفضل.
- القرآن حياة للنفوس وتبيين لمعالم الطريق فهو أساس التجديد...

الزمان والتجديد:

1- فضل السابقين في كل قرن:

قال الله تعالى: ((والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم))⁽¹⁾ إن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى: ((وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين))⁽²⁾ وقال تعالى: ((سابعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض))⁽³⁾ وقال تعالى: ((فاستبقوا الخيرات))⁽⁴⁾ فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى فعل الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان ولهذا قال تعالى: ((أولئك المقربون في جنات النعيم))⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ الآيات 10-11-12 من سورة الواقعة.

⁽²⁾ الآية 133 من سورة آل عمران.

⁽³⁾ الآية 21 في سورة الحديد.

⁽⁴⁾ الآية 148 في سورة البقرة.

⁽⁵⁾ انظر تفسير بن كثير (304/4).

((ثلة من الأولين وقليل من الآخرين))⁽¹⁾ الثلة من السابقين هم صدر هذه الأمة أما القليل من الآخرين فهم ممن جاء بعد صدر هذه الأمة⁽²⁾ . وما ذلك إلا لفضل الصحابة رضوان الله عليهم وفضل التابعين الذين أخذوا عنهم لذلك انتشر الإسلام في دولة تمتد من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً في تقديم أكبر هداية ربانية للبشر على مدى التاريخ كله في سعة الدولة وسعة الهداية بها من هؤلاء الصحابة وتابعيهم رضوان الله عليهم...

وتجديد الإسلام في كل عصر لا بد له من سابقين في الخير علماً ودعوة وغير ذلك وهؤلاء السابقون لا ينقطع وجودهم في أهل كل زمان.

★ عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لكل قرن⁽³⁾ من أمتي سابقون)) - إسناده جيد وصالح -⁽⁴⁾ .

إنها حقيقة ثابتة ومكرورة سابقون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في كل قرن لا ينقطعون، والمشاهد أن السابقين في عصرنا ليسوا قلة، ولكن تنوعهم ضروري سواء كان في السياسة أم الاقتصاد أم الاجتماع وسائر العلوم النافعة، ومن ذلك حفظ تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف وتبيينهما للناس والدعاة الذين ينفعون، والأهم من هذا أن يشار بالبنان من قبل أهل الخير هؤلاء للمجدد لأمر هذه الأمة في الزمان المعاصر، ولو توفاه الله تعالى، فالمبادئ التي دعا لها موجودة ليكون هنالك التماسق والانسجام بين أهل الخير تحت نصائح المجدد لذلك:

★ روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)) - حديث صحيح -⁽¹⁾ .

⁽¹⁾ الآيات 13-14 من سورة الواقعة.

⁽²⁾ انظر تفسير ابن كثير مع تصرف للتوضيح، وذلك في الراجح مما يقول (305/4).

⁽³⁾ القرن: أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، وكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم. وقيل: القرن: أربعون سنة، وقيل ثمانون، وقيل مائة وقيل، مطلق الزمان. وهو مصدر: قرن يقرن - انظر النهاية في غريب والأثر لابن الأثير (51/4) -.

⁽⁴⁾ أخرجه أبو نعيم في الحلية (8/1) وعنه الديلمي معلقاً بإسناد جيد، ورواه الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) (132/2) وإسناده الحديث صالح - سلسلة الأحاديث الصحيحة (2001/7/5) ..

لذلك قال ابن الأثير المتوفى سنة 606هـ في تعليقه الطويل على الحديث: (لكن الذي ينبغي أن يكون المبعوث على رأس المائة: رجلاً مشهوراً معروفاً، مشاركاً إليه في كل فن من هذه الفنون⁽²⁾، فإذا حُمِلَ تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى)،⁽³⁾ ثم يقول في مساعدي المجدد: فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة، يجددون للناس دينهم، ويحفظون مذاهبهم..⁽⁴⁾.

إنه لا بد للتجديد والتغيير من شخصية متكاملة علماً وديناً وخلقاً تقوم لله رب العالمين وسط الجاهلية، تتادي بالتجديد لطريقة محمد صلى الله عليه وسلم في التجديد وبالتجديد لمفاهيم الإسلام كما بيّن محمد صلى الله عليه وسلم، ثم لا بد من مؤازرته بالأكابر علماً وخلقاً ودعوة وزهداً ليجددوا مع المجدد، بل لا بد من أهل الصناعة والأمن كذلك في خدمة الإسلام والمسلمين أولاً بل في خدمة الناس أجمعين بما يتناسب ويتطلب لمرحلة التجديد الإسلامي.. وخاصة فلا يمكن أن يترك أعداء الإسلام التجديد يمر دون محاربة بعد المرحلة السرية في حياة التجديد، وإظهار التغابي مطلوب في بعض المراحل في هذا العصر وصدق الشاعر عند ما قال:

ليس الغبيُّ بسيدٍ في قومه لكنَّ سيدَ قومِهِ المُتغابي

إن بذل وعطاء المجدد في عصرنا قد صنع له في كل مدينة أنصار أو مهاجرين، لا في العالم الإسلامي فحسب بل في العالم كله، صنع له

⁽¹⁾ رواه أبو داود في سننه (4291/106/4) قال عبدالقادر أرنووط معلقاً: وإسناده صحيح، وصححه الحاكم في مستدرکه (106/4) (4291/ ووافقه الذهبي. ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (6527 /323/6).

⁽²⁾ أشار سابقاً إلى قانون السياسة وحفظ الحديث والزهد الذي ينفع بالمواعظ والحث على لزوم التقوى... - جامع الأصول (321/11)-.

⁽³⁾ جامع الأصول (321/11).

⁽⁴⁾ المصدر السابق (321/11).

أعواناً وأنصاراً وإن غابت عيناه شهيداً... رحمه الله وجمعنا به في الفردوس الأعلى، وحسن أولئك رفيقاً...

لقد صنع صحوة إسلامية تطورت بعده إلى يقظة إسلامية في عصرنا. فأصبح أبناء الصحوة ثم اليقظة في الخط الأول للدفاع عن الإسلام والأوطان. يقاسمون هجرة أو تماساً خطيراً مع أعداء الأوطان الإسلامية. سواءً أكانوا من الاستعمار القديم أم من أذنابه وعملائه في كل أرض...

وإني لأدعو الله تعالى أن يسدد الخطى ويديم المودة ويحسن القدوة والتجديد المستمر للشباب والشابات السابقين والسابقات بالخيرات، وبعد ذلك النصر الموعود والصبح القريب يا رب...

يقول الشاعر محمود مفلح:

وأبصر الزمن الموعود يقتربُ	إني لأسمع وقع الخيل في أذني
الله ما جمعوا لله ما وهبوا	وفتية في رياض الذكر مرتعهم
جاؤوا من الخُد أو للخُد قد ركبوا	إذا نظرت إليهم خلت أنهم
فحيثما حُجِبوا فالعدل يحتجبُ	هم الذين أقام العدل عندهم
وشرعةً الله نعم الغاي والنسب ⁽¹⁾	جاؤوا على قدر والله يحرسهم

تسارع السابقين يكون بالأفضل:

ونحن نتكلم على السابقين لا بد لنا ندرك أن طريقة محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته، فقد كانت تتحرك ضمن الأفضل في عصره قوماً وفئةً ومكاناً بل أشخاصاً كذلك، أما الأقوام فقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته بالعرب، وأما الفئات فقد بدأت دعوته من العرب في قريش، ومنهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمهاجرون كذلك من قريش، ثم الأنصار من الأوس والخزرج، ثم توسع الأمر فانتشرت دعوته في قبائل ذات فضل متعددة، منها قبيلة بني تميم وقيس

(¹) رائق الشهيد (وإسلاماه) في قصيدة عنوانها إنهم فتية (ص746) للشاعر محمود مفلح أخذه الدكتور/ حسين القحطاني من ديوانه ((إنها الصحوة... إنها الصحوة)).

وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وبني كعب والأزد، وقد ذكرنا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في فضل ذلك. وانتشرت دعوته صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في المكان الممكن الأفضل، انتشرت في الأفضل ثم الأفضل قوماً وفئات وأماكن في عصره، فاختصر الطريق في نصر حاسم، ودخل الناس في جزيرة العرب في الإسلام أفواجاً، لكن بعد سنة الأفضل كما جاء في سورة النصر قبل وفاته قوله تعالى: ((إذا جاء نصر الله والفتح... تواباً)) - سورة النصر - كل ذلك في 23/ سنة.

وأشار على صحابته إلى الأفضل في بلاد الشام ومصر وتركيا، فانطلقوا بعده على خيولهم بحزم ليزيلوا العقبات أمام دعوة الإسلام في هذه البلدان رضوان الله عليهم:

كأنهم في ظهور الخيل نبتُ رباً من شدة الحرْم لا من شدة الحرْم

والذي شجعهم على ذلك ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل كل هذه البلاد الطيبة المباركة.

ولكن علينا أن ندرك أولاً أن هذه الانتصارات ما كانت لتكون لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسس أشخاصاً على الخير، وانتقاهم من أفاضل الناس، ليكلفهم بمهام الدعوة الإسلامية... وخاصة في أحسن القواد والعلماء والدعاة.

صحيح أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم عالمية فقال تعالى: مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم ((قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً))⁽¹⁾.

ولكن مع دعوته العامة صلى الله عليه وسلم فقد دعا دعوات خاصة ففي المرحلة السرية لدعوته في الثلاث السنوات الأولى دعا أبا بكر وعلياً والأفاضل - رضي الله عنهم - ثم استمر في حرصه على إسلام أشخاص معينين صلى الله عليه وسلم.

(1) الآية: 158 من سورة الأعراف.

وذلك لأن الناس تختلف كاختلاف المعادن فكما أن المعادن تختلف قيمةً واستعمالاً وفائدة، فإن الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، لذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إسلام ناس معينين أكثر من غيرهم، وأمر آخر لا بد من الانتباه إليه وهو أن الداعي ينبغي له أن يكون منسجماً مع المدعو ومناسباً لدعوته إياه، فإن الأرواح جنود مجنده، وسبحان الله فإن من كانوا أكثر الناس عداوة لهذا الإسلام يكونون بنفس الوقت أقرب الناس للإسلام لأنه الحق بعد التحيص فسبحان مقلب القلوب، وقد قرأت بعض الأمثلة على هذا في الغرب، وكل ذلك أشار له النبي صلى الله عليه وسلم في حديثين:

★ الأول: رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، تجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الشأن حتى يقع فيه)) - حديث صحيح-(1).

★ الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجنده، فما تعارف منها ائتلف. وما تناكر منها اختلف(2)) - حديث صحيح - (3). ولو ذهبنا نذكر فضل الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة ومن شهد غزوة بدر وأصحاب بيعة الرضوان وسائر الصحابة - رضوان الله عليهم - لطل بنا المقام.. لكننا نخلص إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لدعوته معادن الصحابة السامية صلى الله عليه وسلم ولفضل معدن عمر للصفات الذاتية به - رضي الله عنه- دعا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم له الله تعالى ليدخل الإسلام ويعزه به، واستجاب الله دعاءه صلى الله عليه وسلم.

(1) رواه البخاري (3496/186/4) (ظرافه رقم 3588،3493).

(2) قال محمد فؤاد عبدالباقي: قال العلماء: معناه جموع مجتمعة وأنواع مختلفة. وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه. وقيل: إنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شيمها. وقيل: إنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها فمن وافقه في شيمه ألفه، ومن باعده نافرته وخالفه - انظر تعليقه على صحيح مسلم (2031/4).

(3) رواه مسلم (2638/2031/4).

★ فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام)). فجعل الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب فبنى عليه الإسلام، وهدم به الأوثان - رجال الحديث والخبر رجال الصحيح ومن وثق⁽¹⁾ -.

★ عن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب)) قال: أي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وكان أحبهما إليه عمر)) - حديث حسن صحيح غريب⁽²⁾. أي كان عمر - رضي الله عنه - أحب إلى الله تعالى⁽³⁾.

★ وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ضرب صدر عمر بيده حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول: ((اللهم أخرج ما في صدر عمر من غلّ وأبدله إيماناً)) فيقول ذلك ثلاث مرات - رجاله ثقات⁽⁴⁾.

وهكذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم معادن سامية من الصحابة - رضي الله عنهم - للإسلام ثم رباهم على الخير فكانوا خيراً لأمة الإسلام ودولته كل في اختصاصه.

ومن هؤلاء الذين ذكرهم الحديث الآتي:

★ عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم⁽⁵⁾ زيد بن ثابت،

⁽¹⁾ رواه الطبراني في الكبير رقم (13191) قال الهيثمي ورجال الكبير رجال الصحيح غير مجال بن سعيد وقد وثق - انظر مجمع الزوائد (14404/55/9) -.

⁽²⁾ رواه الترمذي في سننه (3928/115/10) في تحفة الأحوذى وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -.

⁽³⁾ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (115/10).

⁽⁴⁾ رواه الطبراني في الأوسط رقم (1100) ورجالهم ثقات - مجمع الزوائد للهيثمي (14417/62/9) ورواه الطبراني في الكبير رقم (1319).

⁽⁵⁾ أكثرهم علماً بالفرائض للمواريث.

وأقروهم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح))
- إسناده صحيح-(1) .

★ وفي خبر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: (أقرونا أبي وأقضاننا
علي) -خبر صحيح-(2) .

أما خالد بن الوليد-رضي الله عنه- فقد كان أحد أشرف قريش في الجاهلية، وإليه
كانت القبة والأعنة في الجاهلية، فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها
ما يجهزون به الجيش، وأما الأعنة فإنه كان على خيول قريش في الحروب(3) ،
وكتب إليه أخوه الوليد بن الوليد فوقع الإسلام في قلب خالد وكان سبب هجرته(4) .

★ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم منزلاً فجعل الناس يمرّون فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم: ((من هذا يا أبا هريرة؟)) فأقول فلان، فيقول (نعم عبدالله هذا)، يقول
(من هذا؟) فأقول فلان، فيقول: ((بنس عبدالله هذا)) حتى مرّ خالد بن الوليد
فقال: ((من هذا؟)) قلت: هذا خالد بن الوليد قال: ((نعم عبدالله خالد بن الوليد
سيف من سيوف الله)) - رجاله ثقات-(5) .

حضر خالد - رضي الله عنه - مشاهد كثيرة بوصفه قائداً منها حروب الردة
وموقعة اليرموك، ثم فتح دمشق بوصفه جندياً مطيعاً - رضي الله عنه- .

(1) ورواه الترمذي (4043/199/10) في تحفة الأحوذى وأخرجه ابن ماجه (154/55/1) لكنه زاد بعد عثمان: ((وأقضانهم علي
ابن أبي طالب) ورواه أحمد في مسنده (13578/281/3)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه (5784/422/3) وقال: هذا حديث
صحيح الإسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي قال: الألباني وهو كما قال- سلسلة الأحاديث الصحيحة (1224/223/3)-.

(2) في خبر رواه البخاري (4481 /174/5) طرفه في رقم (5005).
(3) الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر القرطبي المالكي (405/1).
(4) المصدر السابق (593/3).

(5) أخرجه الترمذي (4099/232/10) في تحفة الأحوذى ومما قال العلامة عبدالقادر أرنووط: للحديث شواهد بمعناه يقوى بها منها
ما رواه أحمد في المسند (44/8/1) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ورواه أيضاً أحمد في المسند (6382/9/4) عن أبي
عبيدة بن الجراح فهو حديث صحيح بشواهد، وانظر مجمع الزوائد (349-348/9) فإن ذكر شواهد أخرى- جامع الأصول
باختصار (6651/103/9)-.

★ روى أبو يعلى عن قيس يعني ابن أبي حازم قال: قال خالد بن الوليد: ما ليلة يُهدى إلى بيتي فيها عروسٌ أنا لها محب وأبشر فيها بـغلام بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو - رجال الخبر رجال صحيحي البخاري ومسلم - (1).

قصدت بذكر هذه الأحاديث والأخبار الأخيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشجع تلامذته على تخصص يسارعون فيه بالخيرات.

أعجب كل العجب من بعض الذين يهتمهم أمر الإسلام في العصر الحديث ثم هم لا يتبعون طريقة النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في انتقاء الرجال وإعدادهم بما يناسب استعداداتهم...

فلا بد من إكثار السابقين بما يناسب استعداداتهم بحيث يخدمون أمتهم ووطنهم المسلم، وذلك بسائر الاختصاصات اللازمة في العصر الحديث لبناء دولة الإسلام وذلك من خلال الدراسات بعد الشهادة الثانوية أو بعد بالتخصص بما ينفع أمتهم ودينهم ووطنهم المسلم والعالم أجمع... لا بد من تخصص كتخصص هؤلاء الأصحاب بل أوسع في العصر الحديث لكثرة العلوم اللازمة والوسائل التعليمية، ولا بد من دورات تخصصية كل بحسب ما يستطيع سياسة وثقافية وأمنية واقتصادية واجتماعية وقضائية... وحركية... لكي يرتفع مستوى السابقين وليزيد عددهم، ألا ترى معي أنه من أعجب الأمور أن ينطلق الصحابة والتابعون وتابعو التابعين في دولة تمتد من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً، فيلبون حاجاتها جميعاً الدعوية والعلمية والقضائية والنقدية والاقتصادية والسياسية والأمنية بالحرز من المنافقين الذين لهم صفات مبينة في القرآن الكريم. وهكذا كان ما يلبي حاجات هذه الدولة الأموية الإسلامية التي تمتد على رقعة واسعة، وهي الأوسع في تاريخ

(1) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد (15885/350/9).

البشرية القديم والحديث، لقد كان في الصحابة رضي الله عنهم - ثم بالتابعين وتابعيهم كل ما تحتاج إليه هذه الدولة من قضاة ومتقنين واقتصاديين واجتماعيين وقواد للجيوش ودعاة هادين، فدخل الناس بهذه الدولة في دين الله تعالى أفواجاً أفواجاً طائعين لله تعالى مخيرين تحت الشعار القرآني ((لا إكراه في الدين)) (1) وما كان ذلك إلا لحسن الانتقاء أولاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأهمية هذا الانتقاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء:

★ عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة)) - حديث صحيح - (2) والراحلة هي البعير الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوي على الأحمال والأسفار، سميت راحلة لأنها ترحل أي يجعل عليها الراحل، فهي فاعلة بمعنى مفعولة، والمعنى: المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف قليل فيهم جداً كقلة الراحلة في الإبل (3).

إنها مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم مدرسة السابقين، وما لم نتجه هذا الاتجاه في الانتقاء والتربية والتخصص فستبقى سفينة الإسلام في مكانها، بل تتعرض لاعتداء المعتدين وظلم الظالمين، يحرص بعض الدعاة على جلب أكبر عدد لينضموا إلى من يهمهم أمر الإسلام في العصر الحديث، وهذا شيء لا بد منه فقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً، وهذا طيب، ولكن الأطيب منهم أيضاً التخصص والسبق والإعداد ليكون لدينا أكبر عدد من السابقين، وإلا تصبح مسيرتنا كرجل سمين عظيم السمنة لا يستطيع الحركة المناسبة في الوقت المناسب مما يؤدي إلى الانشاقات والملل، بل التصرفات الفردية الضارة من الشباب

(1) الآية: 256 من سورة البقرة.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه باب رفع الأمانة (6498/242/7) واللفظ له ومسلم (2547/1973/4) والترمذي (3032/140/8) وقال حديث حسن صحيح.

(3) تحفة الأحوذى شرح سسن الترمذي فيما نقله عن شرح مسلم للنووي (141/8).

أصحاب الطاقات العليا مع عدم الإنصات منهم لقول الله تعالى: (... وليتلف ولا يشعرون بكم أحداً) إنهم إن يظهروا عليكم يرموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تغلحوا إذاً أبداً⁽¹⁾.

فلا بد من اعتقاد كل من يهمله أمر الإسلام بأن حسن التربية والتخصص والدعوة طريقنا إلى السبق بالسابقين.. وهم موجودون في كل عصر لكن لا بد من كثرتهم وتطويرهم إلى الخير..

فهذا هو أحد لوازم التجديد الرئيسية لمن أراد تجديد دين الإسلام في العصر الحديث... إنه تجديد طريقة محمد صلى الله عليه وسلم. إن هذا اليوم قادم لا محالة، فهل سنسرع به في إعداد السابقين والذي يدل عليه الحديث الآتي:

★ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مثل أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير، أم آخره)) - حديث صحيح بطرقه⁽²⁾.

ولا يحمل هذا الحديث على التردد في فضل الأول على الآخر، فإن القرن الأول هم المفضلون على سائر القرون من غير شبهة، ثم الذين يلونهم، وإنما المراد بهم لنفعمهم في بث الشريعة والذب عن الحقيقة⁽³⁾، ولولا الجيل الأول ما كنا مسلمين رضوان الله عليهم، فهم الذين شقوا الطريق طريق الدعوة للإسلام...

قد يخاطبني مخاطب فيقول: عوّدتنا في دراسات السنة النبوية السابقة أن تعطينا أحاديث تلامس عصرنا بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم فكيف غيرت؟

أقول: إن كل تجديد لأمة الإسلام في العصر الحديث لا بد أن يأخذ بعين العناية الشديدة طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في التنقل بين الأفضل مكاناً

(1) الأيتان: 20-19 في سورة الكهف.

(2) أخرجه الترمذي (3030/138/8) في تحفة الأحوذى، ورواه أحمد في المسند (11918/130/3) من حديث أنس و(18402/319/4) من حديث عمار بن ياسر، وهو حديث صحيح بطرقه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وفي الباب عن عمار، وعبدالله بن عمرو، وابن عمر - انظر جامع الأصول وتعليق عبدالقادر أرنؤوط - رحمه الله تعالى - (6770/201/9).

(3) انظر تحفة الأحوذى، شرح سنن الترمذي (138/8).

وفئة، بل أشخاصاً كذلك في نشر دعوته، كما لا بد من سلوك طريقة مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم في إعداد السابقين من الصحابة-رضي الله عنهم- نساء ورجالاً وعند ذلك نكون معشر أمة محمد صلى الله عليه وسلم في العصر الحديث كالمطر لا يدرى آخرنا خير أم أولنا، وخاصة أنه في كل قرن سابقون ومن ذلك عصرنا كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فلا بد من الأخذ بأيديهم والشد عليها نحو زيادة عدد السابقين وتطويرهم.

ونكون بذكر طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في سيره بالأفضلية وذكر إعداده للسابقين، ثم بذكر الأحاديث التي تلامس عصرنا لإصلاح ناسه، نكون بذلك قد أحيينا سنة النبي صلى الله عليه وسلم أي طريقته بثلاثة أمور ومن أحيأ سنته كان معه في الجنة كما مر في حديث سابق في هذا البحث..

وإذا كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة فقد علم صحابته - رضي الله عنهم- أن يكونوا سابقين في أمن المسلمين وذلك بدروس عملية ظهر فيها السابق في أمن المسلمين بل في كل خلق عال سواء كان في الجود أو الشجاعة أو حفظ أمن المسلمين ... إلخ.

★ عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: ((لن تُراعوا لن تُراعوا)) وهو على فرس لأبي طلحة عُرِي ما عليه سَرَجٌ، في عنقه سيف، فقال: ((لقد وجدته بحراً أو إنه لبحر⁽¹⁾)) -حديث صحيح-⁽²⁾ لقد كان الصحابة من أهل المدينة في حذر شديد من أعدائهم من أخطار محدقة لا يتركون السلاح فهو معهم في كل حال.

(¹) فرس بحر: إذا كان واسع الجري- جامع الأصول لابن الأثير (248/11)-.
(²) رواه البخاري_ (6033 / 108/7) واللفظ له ومسلم (2307 / 1802/4)، وأبو داود في سننه (4988/299/4)، والترمذي (1736/271/5) في تحفة الأحوذى.

والأمل في المسلم الذي شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أن يكون
فذا فرداً في أمر ينفع المسلمين علماً أو عملاً أو نوراً للبشرية، فكما أن الله تعالى
أحد فرد فكذلك كن فرداً وليس لك مثيل في أمر تنفع فيه المسلمين بل العالم كله
وهذا ما شرحناه في كتابنا إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى.

والحق يقال لقد ظهر أفاذ في الأمة الإسلامية في العصر الحديث، لكن الأمر
يحتاج إلى جمع الجهود وتطويرها وتنسيقها لصالح أمة محمد صلى الله عليه
وسلم، وها هي سفينة الإيمان سارت لا تستطيع عواصف أعداء الحق إيقافها.. أو
قتلها بعد جراحها..

إنها مسيرة عالمية اللهم اكملها بحفظك وعونك..

الليل ولى لن يعـــود	وجاء دورك يا صباح
وسفينة الإيمان سارت	لا تبالي بالرياح
وطريقنا محفوفة بالدم	بالشوك بالرماح
يا دربنا يا معبر الأبطا	ل يا درب الفلاح
إننا إذا وضع السلاح	بوجهنا ضج السلاح
وإذا تلعثت منا الشفاه	تكلمت منا الجراح

وأخيراً أقول:

لا بد لتجديد الإسلام في العصر الحديث من الرجوع إلى المنبع الأصيل وهو
القرآن الكريم، لأن فيه الحياة للنفوس والاندفاع إلى الأمام بعقيدة القرآن الكريم
وحل المشكلات... قال الله تعالى في القرآن الكريم مخاطباً نبيه محمداً صلى الله
عليه وسلم: ((وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط
مستقيم)) - الآية 52 الشورى - فالروح هو القرآن الكريم ففيه حياة، يبث الحياة

ويدفعها ويحركها وينميها في القلوب وفي الواقع العملي المشهود (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا) ... وهذه ميزة القرآن الكريم الخالصة، وميزة هذا الوحي، هذا الروح، هذا الكتاب إنه نور. نور تخالط بشاشته القلوب التي يشاء الله لها أن تهتدي به، بما يعلمه من حقيقتها، ومن مخالطة هذا النور⁽¹⁾.

اعلم يا أخي أن الخير المطلوب في تلاوة القرآن أن تكون عن تدبر وفهم وإلا فإن القلب مُغلق مقفول قال سبحانه وتعالى: ((أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)) - الآية 24 من -سورة محمد-.

ولقد كتبت تفسيراً للقرآن الكريم يعين على فهمه تجده على هذا الموقع في الكتب القرآنية باسم ((من نسَمات القرآن))، راجعه أكابر من العلماء في مصر وبلاد الشام وتجده في مواقع أخرى، وسأُنزل خلال سنة على موقعي تفسيراً آخر إن شاء الله تعالى، فادع لنا أخي المسلم بالفتح والقبول، وأن يكون له دور كبير في تجديد الإسلام في العصر الحديث، فإن الله تعالى هو المعطي الكريم.

ونحن عندما نبين نصائح السنة لإصلاح حال الأمة إنما نبين ما جاء في القرآن الكريم قال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: ((وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون)) - آية 44 من سورة النحل-.

لذلك كله نبين ما خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم عصرنا في الابتلاء والمحن، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وبشارة النبي في انتشار الإسلام، ومخاطبته لمهاجري عصرنا وغربائه، وفي العلم والعلماء، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والبيئة وبذل الجهد في سبيل الله تعالى.. إلخ، وبذلك تكون نقاط التجديد الصحيح بأنوار محمد ومخاطبته صلى الله عليه وسلم لعصرنا وتجد ذلك

(1) انظر تفسير ابن كثير (131/4) مع في ظلال القرآن (3170/5) في تفسير هذه الآية.

على موقعنا الآن في قسم المقالات ثم بما يفتح الله تعالى بعد في مواضع أخرى
أجهزها بفضل الله تعالى وعونه، وأهم ما فيها اللوازم لهذا التجديد على ضوء
خطاب السنة لعصرنا.

لوازم التجديد للسابقين والسابقات

1- لكل قرن سابقون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فعلينا إكثارهم وتأييدهم
في كل ما يلزم للمسلمين في عصرهم الحديث، وهذا يتطلب دراسات جامعية
وبحثة ودورات متنوعة وتربية بالقرآن والسنة والحدّث كل بحسب تخصصه في
كل ما يلزم للسبق والتجديد، وخاصة فيما يؤدي لكسب مواطن القوة للإسلام، وهذا
يتطلب مع هذا العلم الواسع مالاً وفيراً لا بد من جمعه وثمره وحفظه من عيون
أعداء الإسلام ليكون أدوم:

بالعلم والمال يبني الناس مجدهم لم يُبْنَ مجدُّ على جهلٍ وإقلالٍ

2- لكل قرن مجدد..... لا بد من تأييده بحدوث جماعة من الأكابر تشد أزره
وتجدد للناس دينهم كما أشار ابن الأثير المتوفى سنة 606هـ في (جامع
الأصول في أحاديث الرسول) (321/11) - رحمه الله تعالى رحمة واسعة -.

3- الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وغيرها، فعلى المجدد للإسلام والداعية
له أن يختار للإسلام أفضل الرجال معدناً، فيدعوه ويدعو الله له ليختصر طريق
تجديد الإسلام في العصر الحديث، صحيح أن الانتقاء للمعادن الثمينة من الرجال
والنساء ليس بالسهل لندرتهم، لكن لا بد منه وذلك يتطلب أولاً دراسة لإمكانات
المدعو الشخصية والنفسية والعقلية والجسمية وكذلك دراسة تتعلق بأصحابه وأهله
وموارده المالية ... إلخ. والهدية له مطلوبة وتأمين العمل بحسب المستطاع - اللهم
احفظنا من شياطين الإنس -.

4- على المسلم أن يكون سباقاً في كل أمر من أمور الخير وخاصة في أمن المسلمين كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون المسلم خيراً وبركة واطمئناناً على المؤمنين.

5- لا بد لتجديد أمة الإسلام من الرجوع إلى القرآن الكريم، فإنه الروح التي تجعل أمتنا تنبض بالحياة، ولقد حاولت هذا في تفسير (من نسمات القرآن) في عام 1396هـ عام 1979م، وكان له انتشار واسع النطاق بدور النشر من فضل الله تعالى، وحاولت هذا كذلك في تفسير آخر سيصدر بعد سنة تقريباً إن شاء الله تعالى فلا تتسنا من دعوة صالحة بالإخلاص وحسن الأداء والتوفيق للدقة العلمية والمقارعة بها ثم اقرأه نفعك الله به.

6- خاطب النبي صلى الله عليه وسلم عصرنا بنصائح خاصة أخذت بعين الاعتبار أموراً اقتصادية وسياسية واجتماعية ورياضية وبيئية وفي محبته صلى الله عليه وسلم، والابتلاء والمحن وبذل الجهد في سبيل الله تعالى، وبشارته بانتشار الإسلام في العالم، وخاطب مهاجري عصرنا وغرباءه، كما خاطب علماه ونصحهم ... إلخ، كل ذلك بحثناه أو سنبحثه إن شاء الله تعالى انطلاقاً من قول الله تعالى: ((من يطع الرسول فقد أطاع الله)) - الآية - كل ذلك يدعونا إلى الإصغاء إلى ما خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم عصرنا ولوازم ذلك لوضع أوامره موضع الطاعة والعمل الجدي، والله القدير العليم نسأل- أخي القارئ - أن يجعل ما نكتب مشروعاً على أساس نبوي للنهضة بأمة الإسلام في عصرنا الحديث اللهم آمين.

أ.د/ غسان حمدون

www.Hamdoun.Net